صورُ الطبيعةِ ومباهجُ الحياةِ في شعرِ أبي الفتحِ كشاجم

المدرس الدكتور
علي عبد الحسين جبير
جامعة القادسية ـ كلية التربية

المقدمة:

إن موضوعة الوصف من وصف للطبيعة وصور الحياة ومباهجها، هي من المواضيع التي أخذت حيزاً واسعاً في العصر العباسي، إذ حاول جلُ الشعراء أن يصور تلك الحياة، وتلك المباهج وتلك الطبيعة.

ومن بين هؤلاء الشعراء الذين أخذت تلك الصور مجالاً واسعاً وحيوياً في شعرهم هو أبو الفتح كشاجم، إذ رأيتُ في وقفاته وصوره لمباهج الطبيعة والحضارة في هذا العصر؛ إنعكاس لواقع الحياة التي يعيشها، والتي حاول أن يصور ادق التفاصيل فيها من جانب، ومن جانب آخر هي لحظة إبداعية حاول الشاعر من خلالها إبراز ثقافتهُ الشخصية مع إبراز المتعة النفسية التي تنتابهُ.

إذ تحولتْ تلك الصور والوصفيات في لحظةٍ معينةٍ إلى معادل موضوعي تبرز فيه بيئة وثقافة ومشاعر وخلجات الشاعر وعصره، والتي حاول أبو الفتح كشاجم أن ينقلها لجمهور المتلقين، وأن يجذب انتباههم من خلالها. وقد لوحظ هيمنت الطبيعة على مجمل الوصفيات، فضلاً عن الصور الأُخرى التي تم تدوينها والتي إنتشرتْ في العصر العباسي.

وأهم المحاور والوصفيات والصور التي تناولها الشاعر كانت كالآتي:

أولاً: أوصاف خاصةُ بالطبيعة ومنها: (وصف السحب والأمطار، وصف ورد الباقلاء، وصف الثلوج، وصف كانون النار).

ثانياً: أغراض دخلت الطبيعة جزءاً منها: (المدح، الهجاء، الغزل).

ثالثاً: وصفيات أخرى اشتهر بها العصر العباسي وهي: (وصف الخمرة، وصف مجالس اللهو، وصف الأديرة، وصف البلدان والأقاليم، وصف أدوات الكتابة،

وصف آلات الغناء والطرب، وصف المأكولات).

ثالثاً: وصف النصوص المقدسة: (القرآن الكريم، أهل البيت عليهم السلام).

وأولُ ما تأخذ ألوان الطبيعة[١] المتعددة حيزاً في شعر أبي الفتح كشاجم فقد كان بارعاً بحق في وصفياته، فقد توجه بحذقٍ ومهارةٍ إلى وصف السحب والأمطار والأنهار واظهرَ مهارةً فائقةً ودقةً وقدرةً على الوصف وتوليدِ الصورِ ، والواقعُ أنَّ هذا اللون من الوصف تطور كثيراً على يد أبي الفتح كشاجم فلهُ قصائد كثيرة في وصف السحاب فيها شيء كثيرٌ من الجدةِ والبراعةِ والطرافة والابتكار وتتابع الصور المتحركة وحسن استعمال الألوان إذ يقول[٢]:

غاديـــةٌ والشـــمسُ في طِرادهـــا ... مكونهـــا للســـرِّ في فؤادهـــا

مريضـــةٌ تشـــكو إلى عُوَّادِهـــا ... بياضُـــها قـــد ضـــاع في ســـوادُها

تكـــادُ لـــولا المـــاء في مزادِهـــا ... تحرقُهـــا الـــبروق باتِّقادِهـــا

لهـــا علـــى الرَّوضـــةِ في بعادِهـــا ... تعطـــف الأمّ علـــى أولادِهـــا

كأنَّهـــا في ســـرعةِ ارتـــدادِها ... وحثِّهـــا للفـــرع مـــن أذوادِهـــا

غريبـــةٌ حنَّـــتْ إلى بِلادِهَـــا ... والأرضُ للزينـــةِ في أَعيادهـــا

وقد أشار أبو اسحاق القيرواني إلى براعة وصف الطبيعة عند أبي الفتح كشاجم حتى عُدَّ عندهُ من الشعراء الوصافين الذين أجادوا في طرائف الوصف، وفي التغني بالطبيعة والرياض، ويستشهد بالكثير من مقطوعاته[٣].

ومن ثمَ فالتعلق بالطبيعة وصور الحياة في شعر أبي الفتح كشاجم كان مثير جداً، فهو يعيش صورها ومباهجها فهو يحب ورد الباقلاء والكتان قدر حبه للنرجس والبنفسج والأقحوان، فيقول واصفاً الباقلاء مثلاً[٤]:

لا تـــنسَ وعـــداً بيننـــا قـــد اقتـــربْ ... واجتنـــب العـــذرَ ففـــي العـــذرَ العطـــبْ

حديقـــةٌ تُهـــدي إلى الـــنفسِ الطـــربْ ... قـــد جـــاءَ فيهـــا البـــاقلاءُ بالعجـــبْ

وهنا تعبير عن خلجاته الداخلية، فالطبيعة تستوعب بعمق أحاسيس الشاعر أبي الفتح كشاجم، وتبقى الطبيعة بنوعيها الساكن والمتحرك حاضرةً وبقوة في كل مفاصل الأغراض

الشعرية عنده، فهو عندما يمدح أو يهجو تكون الطبيعة معه في شعره، ومنهُ قولُهُ في مدح الحسين بن علي التنوخي[٥]:

أسـدٌ وبـيضُ الهنـدِ مـن أظفـارهِ ... صِـلٌّ وسُـمرُ الخـطِّ مـن أنيابـهِ

والملـكُ يعلـمُ حـينَ غـابَ بأنَّـهُ ... مـا غـابَ عنـهُ غـيرُ ضـيغمِ غابـهِ

فقد أستعان المبدع بدوال الحيوان ؛ لتعبِّر عن مكنوناته تجاه الممدوح، فقد شبههُ بالأسدِ والضيغم من جهةٍ، و بالصلِّ من جهةٍ أخرى.

ويقول مادحاً – أيضاً –[٦]:

يقـظٌ يكـبحُ الخطـوبَ بتدبيـ ... ـرٍ مُـذلٍ لكُـلِ خطـبٍ جمـوحِ

وشـبيهٌ بـالروضِ خُلقـاً وبالقطـ ... ـرِ نـوالاً وراحـةً بـالريحِ

فهو يشبه أخلاقهُ بالروض جمالاً وعطاءً، ويشبه كرمهُ وجودهُ بالقطر المنساب والمنسال على قاصديه، فالصورة التشبيهية أسهمت كثيراً في دعم الدلالة وجمالية النص.

أما في الهجاء فيقولُ[٧]:

أفـلا يعجـبُ الأنـامُ لشـخصٍ ... صـارَ قـرداً وكـانَ ظبيـاً ربيبَـا؟!

فقد مازج في هجائه وتشبيهاته مستعيناً بألوان الطبيعة المتحركة إذ جمع بين القرد القبيح، وبين الظبي الجميل ؛ ليكون النص أكثر إبداعاً وتأثيراً في المخاطب المهجو و جمهور القراء.

وتبقى الصورة الحسية ذات البعد الخيالي تحوي أركانها شيئا من الورد والرياض فالنساء الجميلات أيام الحداد يراهن شاعرنا بشكلٍ خاصٍ في حديثه عنهن إذ يقول[٨]:

بـيضٌ لبسـنَ حـدادهُنّ لمـأتمٍ ... فلبسـنَ منـهُ الليـلَ فـوقَ نهـارِ

ولطمـنَ مِنـهُنّ الخـدودَ تأسـياً ... وسـكبنَ دمعـاً كـاللُجينِ الجـاري

فكأنّمـا تِلـكَ الخـدودِ بنفسـجٌ ... وكأنّمـا تلـكَ البنـانُ مـداري

أما النساء الجميلات وقت الفرح والمرح فلهُنّ شأنٌ وشكلٌ آخر، إذ يصف إحداهُنّ بقولهِ متغزلاً[٩]:

ISNN 1997-6208

فتأملـــــتُ في الغلالـــــةِ منـــــها ... جســـدَ النـــورِ في قمـــيصِ الهـــواءِ

هـــــي بـــــدرٌ وانَّ أحســـــنَ لَـــــوْنٍ ... ظهـــرَ البـــدرُ فيـــهِ لـــون السَّـــماءِ

وتستمر الصورة الروضية بوصفها الصورة المرئية الدائمة التي يرى من خلالها الاشياء ويحس بها أيضاً ، وحتى الطبيعة يخلق لها صورةً من الطبيعةِ فصورة كانون النار يشبّهُ بالرياض - أيضاً - فهو يقول[١٠]:

هلُمـــــا بكانُونِنـــــا جامِحـــــاً ... قَـــــولاً لموقِـــــدنا أَجَّـــــجِ

إلى أن تَـــــرى لهبـــــاً كالريـــــاضِ ... وناهيـــــك مـــــن منظـــــر مبـــــهجِ

ومـــــن عـــــذبٍ في اخضـــــرار الحريـــــر ... وفي صُفـــــرةِ التِّبْـــــرِ لم تنســـــجِ

إذا اضـــــطربتْ قلـــــتُ ريحانـــــةً ... تـــــرنَّحُ مـــــن ريحَهـــــا السَّجســـــجِ

فالبنية التشبيهية هي البنية المهيمنة في هذا النص فهو يشبه اللهب كأنهُ الرياض روعةً وجمالاً بهجةً، ونلاحظ أنّ أسلوبهُ عموماً في الوصفيات يعتمد على السلاسة والعذوبة في بث الخطاب، بعيداً عن الإغراق في المحسنات، أو الاعتماد على التعقيد اللفظي او المعنوي، والبيان هو النسق الأبرز الذي يعبر عن خلدِ ومكنونات الشاعر[١١].

أما صور مباهج الحياة من موضوعات المرأة والخمرة وربطها بالطبيعة فقد تطورت تطوراً كبيراً في هذا العصر، وأخذ شاعرنا أبو الفتح كشاجم نصيباً منها، فشعرهُ في هذا الميدان صورة مستقاةٌ من عصرهِ الذي تعجُ فيه الحياة واللهو والترف والذي يحاول من خلاله ان يصف لنا مجالس الخمرة تلك[١٢]، إذ يقول[١٣]:

في روضـــةٍ جُليـــتْ علـــى أبصـــارِنا ... فيمـــا إكتســـتهُ مـــن الحُلـــي النابـــتِ

والغيـــثُ يبكـــي مـــن خـــلال نباتِهـــا ... والـــبرقُ يضـــحكُ منـــه ضِـــحكُ الشَّـــامتِ

والـــوردُ كالوجنـــاتِ والأنفـــاسِ مـــن ... ظـــبي غريـــرٍ عنـــد صـــبٍّ بائـــتِ

فالشاعر هنا أعتمد في بناء صورتهِ على البنية الاستعارية في جعل الغيث يبكي، زيادةً على ضحك البرق، وقد أضفت هذه التقنية الاستعارية على البناء رونقاً وجمالاً، وجاء مزيناً - بالطبع - بدوال الطبيعة الخلّابة.

ISNN 1997-6208

ويقدم شاعرنا مقاطع شعرية طريفة أخرى عن الطبيعة والراح ويرسم صوراً مبهجة مسرة يشرك فيها الطبيعة الحية والصامتة ويستحضر صوراً سمعية وبصرية رقيقة وناجحة عن وشرب الراح، ويرى يوم سقوط الثلج يوم جميل يحلو فيه الشرب وتطيب مجالس اللهو، فهو يقول(١٤):

ثلجٌ وشمسٌ وصوبُ غاديةٍ ... فالأرضُ من كُلِّ جانبٍ غُرّهْ

كأنَّ في الجوَّ أيْدِيناً نثرتْ ... دُرَّاً علينا فأسرعتْ نثْرهْ

فاشربْ على الثَّلجِ من مشعشعةٍ ... كأنَّها في إنائِها جمرهْ

قد جُليتْ في البياضِ بلدثنَا ... فاجْلُ علينا الكؤُوس في الحمْرَهْ

ومن مواضيع الوصف التي شاعت في القرن الرابع، زيادةً على ذلك هو وصف حياة الأديرة ومغانيها مقرونةً بمقدمة ساخرة عن الاطلال تماشياً مع ثقافة العصر العباسي(١٥)، التي باتت تستهزئ بالأطلال حيث يقول(١٦):

أحسنُ من وقفةٍ على طللٍ ... قفرٍ وذكرُ العيرانَةِ الأُجُدِ

كأسُ مُدامٍ جَلا المديرُ بهَا ... أُمَّ الليالي وجدةَ الأبَدِ

نَشْربها شُعلةً بلا لهبٍ ... ونجلتيها روحاً بلا جسدِ

هل أحدٌ نالَ مثلَ لذتِنا ... بديرِ مُرَّان ليلةَ الأحدِ

حدائقٌ فوق جدولٍ صخبٍ ... وبانةٍ تحتَ طائرٍ غردِ

وخالعٌ يشتري المجانةَ بالعفةِ فيهِ والغيَّ بالرَّشَدِ

يلاحظ القارئ أنّ أبا الفتح كشاجم يستثمر الحديث عن الدير ؛ ليعرج للحديث عن الحدائق والطيور المغردة، ممزوجةً بشربِ الراحِ والحديث عن اللذائذ، وهذه الوصفيات تُظهر مدى تعلق الشاعر ببيئته، محاولاً تصويرها ونقلها للمتلقي.

كما شاع عند أبي الفتح كشاجم وصف الأوطان والذكريات الجميلة عن المدن التي اقام فيها او زارها فمصر تذكرهُ برياضها وجمالها، فهو يقول(١٧):

أما ترى مصرَ كيفَ قد جمعتْ ... فيها صُنُوفِ الرياضِ في مجلسْ؟!

السَّوسـنُ الغـضُّ والبنفسـجُ والـوردُ وصـفرُ البـهارِ والنرجـسْ

كأنّهـا الجنـةُ الـتي جمعـتْ مـا تشـتهيه العُيُـونُ والانفـسْ

وكذلك في وصفيات الشاعر لمدينة حلب يبقى للطبيعة وجمالها القدر الاوفى، فهو غير معني بأسواقها ورجالها وحكامها، وانما يرى طبيعتها الخلابة ونهر قويق، ويدعو عشاق الطبيعة الى زيارتها حيث يقول(١٨):

ومـا أمتعـتْ جارهـا بلـدةٌ كمـا امتعـتْ حلـبٌ جارهَـا

هـي الخلـدُ تجمـعُ مـا تشـتهي فزرُهـا فطـوبى لِمـن زارهَـا

ولله فيهـا شـهورُ الرَّبيـعِ حـينَ تُعطِّـرُ اسْـحارهَا

إذا مـا اسـتمدَّ قويـقُ السـماء بهـا فأمدَّتـهُ امطارهَـا

أما وصف الثلج - كما هو معروف - فنٌ مستحدثٌ اهتم به شاعرنا أبو الفتح كشاجم في ديوانه. واهتمام الشاعر بوصف الثلج كان واسعاً فقد تغنى بهِ طويلاً، وقد أظهر قدرةً بارعة في وصفياتهِ هذهِ.

إذ إنّ هذا الوصف المستحدث ضمّ في ثناياه معظم القصائد الناجحة والمميزة وأظهر فيها الشاعر مهارة فائقة - كما أسلفنا - وصوراً جميلةً متتابعةً حوتْ براعةً ودقةً في استعمال الألوان وتتابع الصور السمعية والبصرية.

وتبرز الصورة الإستعارية بوصفها بؤرة محركةً للنص عند أبي الفتح كشاجم، فهو يرى الأرض ضاحكة في اثناء تساقط الثلج ثم يتابع صوره الجميلة، فالأغصان وهي مغطاة بالثلج كالدر الذي يسلك في قصب الزبرجد والاشجار عليها ملاءةٌ من الثلج تحاول الرياحُ هتكها، ثم لا ينسى الغناء والطرب في هذا اليوم الجميل ، وفي قصيدة أُخرى يوفق المبدع في اظهار التعاطف والحب بين الأرض و السماء فالأرض ضاحكةٌ لكثرة ما ازدانت به من قطع الثلج كما في قولهِ(١٩):

كأنهـا والثلـوجُ تُضَـحكها تعـارُ ممـن أُحبـه ثغـره

باتـتْ وقيعانهـا زبرجـدةٌ فأصـبحتْ قـد تحولـتْ دره

ISNN 1997-6208

وشاعرُنا الوصاف ينظر نظرةً فنيةً وطريفة في كل الاشياء التي تقعُ عليها عيناه ويلتقطُ الصور المختلفة؛ ليسوغها شعراً فمهنتهُ ككاتبٍ[٢٠] لا تغيب عن فنه الشعري، فهو يصف ادوات الكتابة وصفاً دقيقاً ويستعين بخبرته، ويستعملُ المصطلحات العلمية، ويصف ادوات العلم وصفَ خبيرٍ. فديوانُهُ يحتوي على مقطوعات كثيرة في وصف القلم والبركار والاسطرلاب وادوات الهندسة والفلك والتنجيم، حيث ينقل صوراً من صور تقدم العصر ومعارفه وحضارته، فنراهُ يصفُ لنا مَحْبَرةً فيقول فيها[٢١]:

مُحلياتٍ بلُجينٍ وذهبْ ... محبرةٌ يُزهى بها الحِبرُ الأَلبْ

كالقُرطِ في الجيدِ تدلّى واضطربْ ... تصحبُها والأخواتُ تُصطحبْ

كنانةٌ تودعُ نبلاً من قصبْ ... لم يعْلُها ريشٌ ولم تكسَ عقَبْ

لا تضحكُ الأوراقُ حتى تَنتحِبْ ... تَرْمي بها يُمْناياَ أَغراضُ الكتبْ

فنلاحظ أن الشاعر أجاد في وصف المحبرة، وكيف أنه تُشبه الأقراط المتدلية، وأنّها تحوي بداخلها الفضة والذهب، وهنا دلالة ورمزية على أهميتها عند الشاعر خاصةً والمجتمع عامةً، ثمَّ ينتقل ليشبهها بأدوات الحرب، فهي في نظره ليست محبرةً بل هي كنانةٌ وقد ودِّعتْ نبلاً بدل السهام، وهنا رمز للقوة، ثم يستعين بالصورة الاستعارية لتضيف إلى المشهد روعة وجمالاً، إذ يجعل من الأوراق تضحك عند تنتحب المحبرة بأن ترمي ما بداخلها من حبرٍ.

ويقول في وصفِ البركار بقوله[٢٢]:

جُدْ لي ببركارِكَ الذي صنعتَ ... فيهِ يدَا قَيْنِهِ الأعاجيبا

مُلتئمُ الشفرتين معتدلٌ ... ماشينَ من جانبٍ ولا عيْبَا

أُثِقَ مسمَارهُ وغُيِّبَ عَنْ ... نوَاظرِ الناقدين تغييبا

لو عَيْنُ إقليدسٍ بهِ بَصُرتْ ... خَرَّ لهُ بالسُّجودِ مَكْبُوبَا

يجمع هنا الشاعر بين الطلب إذ يريد هذا البركار، وبين الوصف، إذ وصفهُ وصفاً دقيقاً من أنهُ ملتئم الشفرتين ومعتدلٌ، أي صُنع بحذقٍ ومهارةٍ حتى إنّ الفيلسوف إقليدس خرَّ ساجداً ؛ لبراعةِ صُنعه.

وأجاد - أيضاً - في وصف الإسطرلاب بقوله[٢٣]:

ومســـتديرٌ كجـــرمِ البـــدرِ مســـطوحٌ عـــن كُـــلِّ رائعـــةِ الأشـــكالِ مصـــفوحِ
صَـــلْتٌ يُـــدارُ علـــى قُطـــبٍ يُثبِّتـــهُ تمثـــالُ طِـــرفٍ بشـــكْمِ الحـــذقِ مكبـــوحِ

فالقارئ يشاهد قدرة أبي الفتح كشاجم على وصف الأشياء من حوله، قصداً منهُ لمواكبةِ الحضارة والتطور وتوثيق الموجودات التي تحيط به، مستعيناً بخيالهِ الخصبِ وإحساسه المرهف؛ ولبيان أهمية هذه الآلات في دفع المجتمع إلى الأمام.

وخبرتُهُ لاتقف عند حدِ معرفةِ ادوات الكتابة والعلم ووصفها بل ينتقل لوصف آلات الطرب والغناء وصف خبيرٍ، فهو يصفها وصفاً دقيقاً مفصلاً يتناولُ شكلهَا واجزاءَها وعملهَا.

ومنها قولُهُ في وصفِ عودٍ[٢٤]:

جـــاءتْ بعـــودٍ كـــأنَّ نغْمتَـــهُ صـــوتُ فتـــاةٍ تشـــكو فـــراقَ فـــتى
مخفـــفٌ خَفَّـــتِ النَّفـــوسُ لـــهُ كأنَّمَـــا الزهـــرُ حولـــهُ نبتـــا
دارتْ مَلاويْـــهِ فيـــهِ واختلتفـــتْ مثـــل اختـــلافِ الكفَّـــينِ شُبِّكتـــا
لـــو حركتـــهُ وراءَ منـــهزمٍ علـــى بريـــدٍ لعـــادَ والتَّفَتـــا

زادت الصورة البيانية التشبيهية وصف العود جمالاً ودقةً، فعمد إلى تشبيه الصوت فيه بصوت الفتاة التي فاقت حبيبها، ثم عرّجَ على تشبيه شكل العود بالزهر الجميل الخلاّب، أما ملاويه فكأنّهما كفان قد اشتبكتا. فالتشبيهات مؤثرة وفاعلة في تقريب صورة العود.

وشاعرنا المتألق يحسنُ استعمالَ خبرتهِ وذكائه في مجال وصف ادوات الموسيقى - كما رأينا - وأدوات الكتابة والعلم كما مرَّ بنا، وإلى جانب ذلك يتصرف بخبرته الفنية والجمالية تصرفا حسناً في وصف الأطعمة وطريقة عملها فهو يتنقل من وصف الزلابية الى القطائف وغيرها، فيقول في وصف الزلابياء[٢٥]:

أطيـــبُ مـــا نلـــتُ مـــن اللّـــذّات ومـــن ســـرورٍ مُعْجـــبِ الأوقـــاتِ
مُشَـــبكاتٌ ومفصـــلاتٌ في عســـلِ النحـــلِ مُشرَّبـــات

ويقول في القطائف[٢٦]:

ISNN 1997-6208

عنـــدي لأضـــيافي إذا إشـــتدَّ الســـغبْ ... قطـــائفٌ مثـــلُ أضـــابيرِ الكتـــبْ
قـــد مُـــجَّ دُهـــن اللَّـــوزِ ممـــا قـــد شَـــرِبْ ... وابتـــلَّ ممـــا عـــامَ فيـــهِ ورســـبْ
وجـــاء مـــاءُ الـــوردِ فيـــهِ وذهـــبْ ... وغـــابَ في السُّـــكَّرِ عنَّـــا واحتجـــبْ
إذا رآهُ والِـــهُ القلـــبِ طَـــرِبْ ... أطيـــبُ منـــهُ أن أراهُ يُنْتَـــهَبْ

نلاحظ – هنا – أبا الفتح كشاجم كيف يقدم لنا صورة تفصيلية عن الزلابياء والقطائف، وطريقة عملها، وبنسيج فنيٍّ عالٍ.

فالشاعر دقيقُ النظر فنانٌ في نظرتهِ يلتقطُ صورَ الحياةِ الاجتماعيةِ ومظاهرِها ويصوغها شعراً مشحوناً بالخبرةِ والطرافةِ ودقةِ الوصفِ لكل تفاصيل الحضارة من حوله.

زيادة على ذلك فقد جمع الشاعر لنا المائدة الأنيقة المنسقة والتي تعبِّرُ عن أناقة العصرِ وترفهِ وحسنِ ذوقهِ متواشجةً مع صور الحياة الاجتماعية المترفة والمتنوعة في عصره بقولهِ(٢٧):

وكبـــــابٌ مشـــــرَّحٌ ارهقتـــــهُ ... كـــفُّ طـــاهٍ لطيفـــةُ التشـــريحِ
ولنـــا قينـــةٌ كهمِّـــك طيبـــاً ... وأخٌ ماجـــدٌ خفيـــفُ الـــرُّوحِ
ورحيـــقٌ معتـــقٌ كســـرويٌّ ... كـــدمِ الشَّـــادن الغريـــرِ الـــذَّبيحِ
ومغـــنٍ يُريـــكَ معبـــدَ في المجـــ ... ـــلسِ حـــذقاً ومعبـــدٌ في الضـــريحِ
وصـــنوفٌ مـــن الريـــاحين ليســـتْ ... مـــن عَـــرَارٍ ومـــن أقـــانينَ شِـــيْحِ
وســـقاةٌ مثـــلُ الظبـــاءِ علينـــا ... تتـــهادى مـــن ســـانحٍ وبـــريحِ
كـــلُّ ســـاجي الجفـــونِ في ريقـــهِ الـــ ... ـــبـــرءُ وفي لفظـــهِ ســـقامُ الصَّـــحيحِ

ويوفق الشاعر – هنا – عندما يصف لنا هذه المائدة وهذا المجلس وهي صورةٌ أخرى من صور مباهج ا لحياة في العصر العباسي من مأدُبة الطعام اللهو والترف فيصف لنا هذا المجلس، وهو مجلس قينة من القينات وما فيه من حياة لاهية وغناء ومرح ويصف الراقصات والعازفات والآلات الموسيقية وأناقة المجلس وترفه، وهذا يدل على ثقافته العالية وأثرها في دقة وصفه وأفقهُ الشعري الواسع(٢٨).

أما مسائل العقيدة والدين وأوصافها فقد أخذت مجالاً واسعاً من وصفياته، فنراهُ يصف

أجزاء من القران الكريم بقولهِ[٢٩]:

مـــن يتـــبْ خشـــيةَ العِقـــابِ فـــإنِّي ... ثُبـــتُ أُنســـاً بهـــذهِ الأجـــزاءِ

ســـبعةٌ شُـــبِهتْ بهـــا الأنجـــمُ السَّبـــعةُ ... ذاتُ الأنـــــوارِ والأضـــــواءِ

وكـــأنّ الخطـــوطَ فيهـــا ريـــاضٌ ... شـــاكراتٌ صـــنعةَ الانـــواءِ

وكـــأنَّ العُشُـــورَ والـــذهبَ السَّـــا ... طِـــعَ فيهـــا كواكـــبٌ في الســـماءِ

فالشاعر عندما يكونُ النص مقدساً، فإنهُ يسارع إلى الأفلاك السماوية فيشبه أجزاء القرآن بالأنجم السبعةِ والكواكب جمالاً وعلواً وبهاءً وأنواراً. أما خطوطهُ فهي تُشبه الرياض جمالاً وأناقةً ورصفاً.

حتى أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام)، بوصفهم نصَّاً مقدساً فقد كانت تشبيهاتهُ لهم جزءاً من كواكب السماء لعلو قدرهم ومكانتهم السامية في السماء والأرض، إذ يقول فيهم[٣٠]:

هـــلالٌ إلى الرُشـــدِ عـــالي الضـــياءِ ... وســـيفٌ علـــى الكُفـــرِ ماضـــي الظُّبـــاءِ

وبحـــــرٌ تـــــدفقَ بـــــالمعجزاتِ ... كمـــــا يتـــــدفقُ ينبـــــوعُ مـــــاءِ

علـــــومٌ سماويـــــةٌ لا تنـــــالُ ... ومـــــن ذا ينـــــالُ نجـــــومَ الســـــماءِ

فصَـــــلَّى علـــــيكم إلـــــهُ الـــــورى ... صـــــلاةً تُـــــوازي نجـــــومَ الســـــماءِ

وأبو الفتح كشاجم وبعد هذا العرض السريع لفنِّه ووصفياته فقد أخذت مناحٍ عدة كان للطبيعة النصيب الأوفر فيها فقد ظهر شاعر له خصوصية في هذا الميدان فقد استطاع ان يحقق نجاحاً واضحاً في مجال وصف الطبيعة وبأسلوب سلس أنيق لا ترهقهُ المحسنات ولا تفسده الصنعة المعقدة، ومن وصفياته للطبيعة وصف (السحب والأمطار، ورد الباقلاء، كانون النار، وصف الثلوج)، وقد كان في هذا الوصف ابن بيئته في نظرته الفنية الدقيقة وفي نقله لتلك البيئة وقد كانت الطبيعة بنوعيها المتحركة والصامتة حاضرة في أغلب مفاصل أغراضه وموضوعاته الشعرية، في (المدح، الهجاء، الغزل...) ثم تنوعت وصفياته لصور الحياة الاجتماعية والتطور الحضاري في العصر العباسي من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فقد وصف (الأديرة، الخمرة، مجالس اللهو، وصف المدن والأقاليم، أدوات الكتابة آلات الغناء والطرب، أصناف الأطعمة والمأكولات...)، كما أخذت مسائل العقيدة والدين مجالاً في وصفياته، إذ

ISNN 1997-6208

وصف (أجزاء من القرآن الكريم، أهل البيت عليهم السلام) وكانت وصفياتهُ عموماً هي مرآةٌ عاكسةٌ لحضارة العصر العباسي من جهةٍ إذ حاول أن يوثق تلك المشاهد بأسلوب تصويري مثير للدهشة، مع إبراز نفسية وخلجات ومشاعر وثقافة الشاعر من جهةٍ ثانيةٍ فضلاً عن الخيال الخصب الذي يمتلكهُ والذي حاول من خلاله أن يجذب الجمهور لقصائده الشعرية. ومن ثمَّ فقد ساهم شاعرُنا كثيراً في تطوير هذا الفن وشيوعهُ في هذا العصر.

الملخص:

يعدُّ الشاعر أبي الفتح كشاجم من الشعراء البارزين في العصر العباسي، وقد عُرف هذا الشاعر كثيراً بوصفه وتأملهِ للطبيعة ومباهج وصور الحياة في العصر العباسي، وقد حاولتُ على أثر ذلك الوقوف على أبرز ما جاء في شعرهِ من وصفيات، ومن صور للحياة ومباهج للطبيعة وصور للحضارة في العصر العباسي في القرن الرابع الهجري، إذ تناولت صور الطبيعة من وصف (للسحب والثلوج وورد الباقلاء وكانون النار أمثلةً)، ثم عرجت على الصور الحضارية التي تناولها الشاعر من (وصف للأديرة، ومن وصف لمجالس الخمر والخمرة نفسها، ومن وصف للآلات الموسيقية وادوات الكتابة، ووصف المدن والأقاليم، ووصف المأكولات)، ثم تناولت رؤية وصور المقدسات عند الشاعر من وصف القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام.

وقد وجدتُ أنَّ الشاعر يحاول من خلال تصويره للطبيعة والحياة في العصر العباسي أن يعبِّر عن مشاعره وأحاسيسه وخلجاته الداخلية من جانب، ومحاولاً أن يكون شعرهُ انعكاس لبيئته العباسية من جانب آخر.

Abstract

Pictures of nature and method live in Abu-Al faith Khashjeim Poetry

It has talked this a study that described scene in Abu- Al faith Khashjein than built on axisis.

1-First, the nature described scene. It described the ,rain, broad ,bean flowers…,]

2-Second ,He remembered a things of poetry that consist to work sharing in the nature that called [Praise, satire ,and flirtation].

3-Third , Al-Abasians civilization method and describe were the shape. [churches ,the city and region ,tools of writing ,the musician and the foods].

4- Finly, He described the text sacred like [the Quran gracious ,and Hal-Al bait pace on them]. This is important in scope of studying

هوامش البحث

(١) ظ: الجامع في تاريخ الدب العربي: ٨٦٧.

(٢) الديوان: ٤٤٠.

(٣) ظ: زهر الآداب وثمر الألباب: ٢٢٤/١- ٢٣٧.

(٤) الديوان: ٣٢.

(٥) م. ن: ١٨ -١٩.

(٦) م. ن: ٩٧.

(٧) م. ن: ٣٤.

(٨) م. ن:١٦٢.

(٩) م. ن: ٩.

(١٠) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١/ ٤٠٩.

(١١) دراسات في الأدب العباسي: ٧٠.

(١٢) م. ن: ٦٥ - ٦٦.

(١٣) م. ن: ٥٣.

(١٤) في نظرية الأدب (من قضايا للشعر والنثر في النقد العربي القديم): ٨٩.

(١٥) م. ن: ١٥٦.

(١٦) م. ن: ١٤٣.

(١٧) م. ن: ٢٢٥.

(١٨) م. ن: ١٧٨.

(١٩) تاريخ الأدب العربي (الأعصر العباسية): ٥٠٥/٢.

ISNN 1997-6208

(٢٠) م. ن: ١٥٦.
(٢١) م. ن: ١٣ - ١٤.
(٢٢) م. ن: ٢٣ - ٢٤-٢٥.
(٢٣) م. ن : ٨١.
(٢٤) م. ن: ٥١.
(٢٥) م. ن: ٤٨.
(٢٦) م. ن: ٣٩.
(٢٧) م. ن: ٩٤.
(٢٨) الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم): ٨٦٧.
(٢٩) م. ن: ٦ - ٧.
(٣٠) م. ن: ٤ - ٥.

قائمة المصادر والمراجع

١- تاريخ الأدب العربي (الأعصر العباسية)، عمر فروخ، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

٢- الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري،ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

٣- دراسات في الأدب العباسي / د. محمد زغلول سلام، مطبعة التقدم، الاسكندرية، مصر، (د.ت) .

٤- ديوان كشاجم (محمود بن الحسين ت ٣٦٠هـ)، شرح ودراسة وتحقيق، د. النبوي عبد الواحد شعلان، ط١، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ١٩٩٧ م.

٥- زهر الآداب وثمر الألباب، أبو اسحاق الحصري القيرواني، تح: علي البجاوي، ط١، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ١٩٥٣ م.

٦- في نظرية الأدب (من قضايا الشعر والنثر في الأدب العربي القديم)، د. عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية للنشر، الاسكندرية، مصر، ٢٠٠٠م.

٧- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق، ١٩٨٣م.

ISNN 1997-6208